المرآة

لم يمت بعد ،
بل انساح على ضوء المرايا
وبها تشرق عيناه اتهاما وبشائر
واجه المرآة ان شئت التحدي
او فمت خلف الستائر
أنت ان لم يهدك الضوء بعينيه ،
فلن تهديك آلاف المنائر
واجه المرآة قبل العتب والشكوى
وقبل النوح في صمت المقابر
أنت مهما خبأ الرمل خطاياك ،
ومهما غبت عنا واحتميت
أنت ميت واهم انك تحيا
واهم أنك ميت .

***

حين كنت الخوف في السرب المهاجر
كان حزنا داميا بين الحنايا
وتنامى غضبا في زند ثائر
ماسحا جرحا على جبهتنا
خلفه سيف الزمن
جامعا من كل فج بعض اشلاء الوطن
أنت دمع كاذب في المقلتين
وهو حزن محرق دون بكاء
أنت عذر دائم بين اليدين
عذر من فضّل اجساد النساء
عذر من خلّف ابناء ومن خلّف دين
عذر من شبّ ولم يشبع حياة وهناء
وهو وحده
يسمع الصوت الذي يحمل تاريخ اباء
جاء مجبولا رمالا ودما من كربلاء :
« كل عذر مات في موت الحسين »

***

حينما اشعلت قنديلك بحثا عنه
في ليل الخطايا
كان زيتا في قناديل البيوت
واحتجاجا كان في وجه المنايا
حينما كنت السكوت
وعلى جبهتك السوداء صرخات السبايا
جبت في كل مكان
وهو في صدرك يذوي
ثم يأبى ان يموت .

***

قبل ان ندفن في ضجتنا البلهاء صوته
قبل ان نفرقه بين المحابر
كان في عينيه شيء ..
لم تقله ، بعد ، صرخات المنابر .
حينما اهتزت على الموج المراكب
وانحدرنا .. قبل ان ينحدر السيل علينا
وعرفنا خطوة الموت التي تدنو الينا
حين غابت من لياليا الكواكب
شدنا سرا اليه .. فأتينا
واهلنا قهرنا الدامي عليه .. واشتكينا
وعلى جبهته الراجفة السمحاء القينا المتاعب
مد كفيه الى أعيننا
كفكف الدمع وما كنا بكينا
ضمنا بين يديه
دون ان ينظر ، اشفاقا ، الينا
لم نكن نعرف ان كنا اهتدينا
لم نكن نعرف هل حن علينا
ام تراه كان عاتب
لم نكن نعرفه حين اتانا صامتا عبر الحياة
كان نهرا مر في اعماقنا سرا
ففطته العناكب
وحسبنا انه جف .. ومات .
وأردنا كلمة تبكيه ..
همهمنا قليلا ..
فاذا الصوت صلاة .

دمشق

ممدوح عدوان